السوفياتي، لفرض طوق محكم حولهما. ولهذه الغاية، سارع دالاس الى القيام بجولة على المنطقة في أيـار (مايو) ١٩٥٣، وعرض على دولها فكرة انشاء نظام دفاعي لها يرتبط بالغرب، ليكمل دائرة التطويق الغربي للنظام الاشتراكي العالمي، والحؤول دون تحقيق وجود ونفوذ للاتحاد السوفياتي في المنطقة، بعد اصابة النفوذ الاوروبي بالضعف. ولم يستجب لمسعى دالاس، استجابة صريحة، أي قطر عربي الاّ العراق في ظل حكم نوري السعيد، اضافة الى تأييد باكستان وايران وتركيا للفكرة، وموافقتها على الانخراط في الحلف المطلوب. أما عبدالناصر، فرفض الفكرة من الأساس، وعارضها بقوة. وكانت حجّته في ذلك ان النظام الدفاعي للمنطقة ينبع من دول المنطقة ذاتها، وهو ما تحققه اتفـاقيـة الدفـاع العربي المشترك، الموقعة في العام ١٩٥٠[١٩]. ولم يكن ذلك موقفاً شخصياً من عبدالناصر او القيادة المصرية الجديدة حيال النشاط الاميركي والغربي عموماً، لربط المنطقة العربية، ومصر في مقدمها، بالغرب وأحلافه لمواجهة الاتحاد السوفياتي، «بل كان يوجد هناك اجماع شعبي ووطني داخـل مصر على هذا المـوقف... كان الشعب المصري تحت الاحتـلال الانكليـزي بينمـا الاميركيون يحدثونه عن الخطر الشيوعي»[٢٠].

ولقد شهد العام ١٩٥٤ صراعاً حاداً بين النظام الاقليمي العربي، الذي سعى عبدالناصر الى تكريسه وتحقيق فعاليته، والنظام الشرق أوسطي الذي نشطت في اتجاهه الولايات المتحدة وبريطانيا على نحو خاص. ولتقوية موقفه، انتهج عبدالناصر سياسة نشطة لمساعدة حركات التحرر في الوطن العربي، وخصوصاً في المغرب العربي الخاضع للسيطرة الفرنسية. كما راح يطالب بانهاء الاستعمار البريطاني في منطقة الخليج[٢١]. وعمل، في الوقت عينه، على خلق جبهة عربية موحّدة حيال الضغوط الغربية، فوجّه دعوة الى رؤساء الحكومات العربية للاجتماع في القاهرة، في كانون الثاني (يناير) ١٩٥٥، لاتخـاذ موقف موحّد ازاء حلف بغداد، الذي كان، في ذلك الوقت، على وشك الاعلان عنه رسمياً[٢٢]. وعلى الرغم من ان الاجتماع لم يخرج بنتائج محددة، الاّ ان عبدالناصر نجح، خلاله، في تحقيق عزلة عربية للسياسة العراقية المندفعة نحو الارتباط بالأحلاف الغربية. فالوفد العراقي الى الاجتمـاع كان الوحيـد الذي دافع عن حلف بغداد[٢٣]؛ اما الدول العربية الاخرى، فقد أقنعها عبدالناصر بأن هذه الحلف يدمّر التوازن في المنطقة، ويشكّل تهديداً لاستقلال البلدان العربية[٢٤]؛ فاتخذت السعودية وسوريا موقفاً من الحلف مماثلاً للموقف المصري؛ وكذلك اليمن؛ كما أعلن لبنان حياده في الصراع بين الجانبين؛ ولم يستطع الاردن ان يمنح الحلف تأييده العلني[٢٥].

وبالاعلان عن قيام حلف بغداد، والغارة التي شنّتها اسرائيل على القوات المصرية المرابطة في قطاع غزة، في ٢٨ شبـاط (فبـراير) ١٩٥٥، وراح ضحيتها ٣٨ عسكرياً مصرياً، اضافة الى ٢٥ جريحاً، حدث أمر في المنطقة لصالح تعزيز النظام الاقليمي العربي ورفع درجة مواجهته للنظام الشرق أوسطي. فحتى ذلك الوقت، كان عبدالناصر، على الجبهة الداخلية، يركز اهتمامه على مشاريع التنمية، لاعتقاده بأن اتفاقية الهدنة مع اسرائيل من شأنها ان تحول دون قيام نزاع مسلّح[٢٦]؛ أما على الجبهة العربية، فكان يسعى الى تطبيق اتفاقية الدفاع العربي[٢٧]. وكان قيام حلف بغداد تحدياً غير مسموح به بالنسبة الى مصر، وأقنعت الغارة الاسرائيلية عبدالناصر بضرورة الاسراع في تقوية القدرة الدفاعية لمصر؛ اذ «تبين له، بوضوح، ان [دافيد] بن ـ غوريون لا يرغب في السلام، لأنه يعوق خططه التوسعية»[٢٨]. ووجد عبدالناصر، ايضاً، ان التضامن العربي هو الوسيلة الأكثر جدوى في مواجهة التحـديـات الاسرائيليـة، وكذلك التحديات الغربية، فقام بتوقيع سلسلة من المعاهدات مع الدول العـربيـة الأخـرى، للدفـاع المشتـرك والتعـاون في المجـالات العسكرية والاقتصادية خصوصاً؛